

ضوابط النية في الشريعة الإسلامية

د. كمال طه مسلم*

اعتمد للنشر في ٢٧/٢/١٤٤٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلم البحث في ٢٥/١/١٤٤٧هـ

ملخص البحث:

النية في الإسلام أمرها عظيم، وقدرها جليل، ومكانتها رفيعة، فهي جوهر الأعمال وليها، وهي قلب العبادة ونبضها، وهي سر الأقوال ومفتاحها، وهي روح الأفعال وحياتها، فكما أن الجسد لا حياة له بدون روح؛ فكذلك الأفعال لا قيمة لها بدون نية؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)^(١)، والنية محلها القلب، فأى عمل له باعث في القلب، وصلاح العمل وفساده، على حسب النية المقتضية لإيجاده، والنية لازمة لا تنفك عن العمل المقصود، ولا يخلو العمل منها، فتوحيد القصد هو أن يقصد بالعمل، إما طاعة، أو معصية، أو مباح، فلو قصد طاعة وعبادة أو مباحاً أو أضاف إلى المباح نية قربة، كأن ينوي أكل التفاح ليتقوى به على الطاعة، فيتحول العمل إلى قربة، وعبادة، لكن إذا قصد المعصية، فلا تتحول إلى قربة، كأن يسرق لينفق على الفقراء، وأما إذا قصد الطاعة، فقد يكون المقصود بالعبادة وجه الله ومرضاته، وقد يكون المقصود به الرياء والسمعة، فتتحول الطاعة إلى معصية، ويأثم عليها العبد، فالنية هي تلك الإرادة التي تقصد الفعل؛ والإخلاص هو أن تقصد بالعبادة وجه الله، فالنية تتعلق بذات العمل والعبادة والإخلاص يتعلق بتوجه العبادة، وهو توحيد المقصود وهو أن يكون المقصود بالعبادة وجه الله وحده، وتوضيح هذا الفرق الدقيق بين القصد والمقصود، غاية في الأهمية؛ لما قد يتسبب الجهل به إلى الوقوع في أخطر أنواع الشرك بالله وهو شرك النية والقصد، وقد يقع فيه الإنسان وهو لا يشعر؛ فأردت بالبحث بيان هذا الفرق، تحذيراً وحرصاً وتوضيحاً، وسميت البحث عون المعبود في توحيد القصد والمقصود.

الكلمات المفتاحية: النية، الإخلاص، القصد، المقصود، التوحيد.

Abstract

Intention in Islam is a great matter, its value is sublime, and its status is exalted. It is the essence and guardian of deeds, the secret and key to words, and the spirit and life of actions. Just as the body has no life without

*

(١)

a soul, so too actions have no value without intention. He said (peace and blessings of Allah be upon him): "Actions are only by intentions, and each person will have but what he intended." The intention is in the heart, so any action has a motive in the heart, and the goodness or corruption of the action depends on the intention that required it to occur. The intention is necessary for the intended action, and the action is not devoid of it. So, the unification of intention is to intend by the action either obedience, disobedience, or something permissible. So, if he intended obedience and worship, or something permissible, or added to the permissible the intention of drawing near to Allah, such as intending to eat an apple to strengthen himself for obedience, then the action turns into drawing near to Allah and worship. As for disobedience, it does not turn into drawing near to Allah, such as if he steals to spend on the poor. Similarly, obedience, if he falls short, is the unification of shortcomings. The intention of worship may be for the sake of Allah and His pleasure, or the intention may be for showing off and reputation, so obedience turns into disobedience and he is sinful for it. So, the intention is that will that intends the action. Sincerity means that you intend your worship for the sake of God. Intention relates to the act and worship itself, and sincerity in worship is the unification of the intended meaning, meaning that the intended meaning of worship is for the sake of God alone. Clarifying this subtle difference between intention and intended is extremely important, as ignorance of it can lead to falling into the most dangerous type of polytheism, which is polytheism of intention and intention. A person may fall into this without realizing it. I wanted to clarify this distinction in this research, as a warning, caution, and clarification. I titled this research "Aid to the Worshipped in Unifying Intention and Objective."

Keywords: intention, sincerity, intention, intended, monotheism

المقدمة:

الحمد لله العالم بظواهر النوايا، المطلع على البواطن، والخفايا، والصلاة والسلام على المبعوث خير البرايا، وعلى آله وصحبه كرام الطوايا، والذين حملوا لهذا الدين الرايا، ومن تبعهم بإحسان من أصحاب أنقى القلوب، وأطيب السجايا. وبعد: فإن النية لها أثر عظيم ومكانة جليلة في قلب كل مسلم، فبصلاحها تصلح الأعمال، ويفسادها تفسد، كما أن العمل بغير نية هباء منثور، والنية بغير إخلاص ضلال، وزور، والعبد يرتقي بنيته في أعلى عليين، ويسقط بها في أسفل سافلين، والنية تتعلق بذات العبادة، والإخلاص يتعلق بتوجيهها لله تعالى؛ لذلك أردت أن أبين مكانة النية، وأهميتها وشروطها، وخصائصها، والإخلاص، وأهميته، وعلاماته، وخطورة انحراف نية العبد، واستعراض بعض المسائل المعاصرة التي تتعلق بالنية في البحث المائل. الذي عنوانه (ضوابط النية في الشريعة الإسلامية) دراسة تأصيلية تطبيقية.

أهداف الدراسة:

١. إبراز وسائل ضبط النية في الإسلام.
٢. بيان أسباب فساد كثير من الأعمال.
٣. التفريق بين النية والإخلاص .
٤. تحديد علامات الإخلاص.

مشكلة الدراسة:

ما تعيشه المجتمعات الآن من ثورة معلوماتية متلاحقة في شتى الميادين، ولا سيما تدافع الثقافات على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي أدت إلى انحراف الأخلاق وانتكاسة الفطر، وانتشار الجرائم، وعموم الفوضى القيمة فكان لزاماً علينا أن نجيب عن هذه الأسئلة الآتية:

١. ما تعريف النية؟ وما الفرق بينها وبين الإخلاص ؟
٢. ما كيفية السيطرة على النية وضبطها ؟
٣. ما علامات الإخلاص ؟ ماسبل المحافظة عليه ؟
٤. ما خطورة الانحراف عن الإخلاص والوقوع في اتباع الهوى، والرياء ؟وماسبب العلاج ؟

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي للدراسات الواردة في هذا الباب البحثي - ضبط النية وتوجيهها إلى الله- وقفت على عدة دراسات معنية به على سبيل الإجمال، غير أنني قد وجدت فيها قصوراً من حيث إنها تختص ببعض الجوانب دون بعض، وكان من أبرز تلك الدراسات التي وقفت عليها، ما يلي:

١. النيات في العبادات، د/ عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفالح، الكويت، (ط١)، ١٩٨١-١٤٠١هـ

وقد تناول فيها الباحث: كانت عبارة عن رسالة علمية؛ لنيل درجة الدكتوراة، وخصصها للحديث عن موضوع النية في العبادات .

٢- النية وأثرها في العبادات، هناء المهاجر طرايزوني، رسالة ماجستير في الفقه الإسلامي في الفقه المقارن، دار النوادر، دمشق، ١٤٣٣-٢٠١٢م. وقد استعرضت فيه الباحثة تعريفات ودلالات النية، وأحكامها المتعلقة بالعبادات .

٣- النية وأثارها في الأحكام الشرعية، للسدلان، وهي رسالة ضخمة في مجلدين، واستعرضت موضوع احكام النية، بصورة مختصرة، لأن يتكلم في موضوعات مختلفة. وبعد الاطلاع على هذه الدراسات، وغيرها من الدراسات، تبين أنه لا توجد -في حدود

علمي - دراسة جامعة لجوانب التعريف، وبيان الضوابط، والمقارنة بين النية والقصد والإخلاص، وإفراد مبحث مستقل عن توحيد القصد، وهو متعلق بذات الفعل والأحكام المتعلقة به، ومبحث لتوحيد المقصود وهو توجيه المقصود بالعمل وهو الله ثم تعرضت للكلام عن الإخلاص أهميته وعلاماته وخطورة الانحراف عنه، باتباع الهوى أو الرياء وبينت خطورة كل منهما وطرق الوقاية والعلاج منهما

منهجية البحث:

استخدمت في البحث المنهج الوصفي، التحليلي، الاستقرائي، وتتبع ظواهره من خلال المراجع والمصادر العلمية والشرعية، ووصفها وصفاً دقيقاً، من خلال الواقع، وتحليلها تحليلاً علمياً، وشرعياً وتربوياً، وذلك بهدف الوصول إلى تعريف دقيق للنية والقصد، والإخلاص وبيان ضوابط وعلامات كل منهم

خطة البحث:

البحث ينقسم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين:
المقدمة:

تشتمل على: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف مصطلح النية والقصد، الإخلاص والفرق بينهما، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف مصطلح النية والقصد والإخلاص والفرق بينهما.

المطلب الثاني: مشروعية اعتبار النية في العبادات والتصرفات.

الفرع الأول: مشروعية اعتبار النية من القرآن الكريم.

الفرع الثاني: مشروعية اعتبار النية من السنة النبوية

الفرع الثالث: مشروعية اعتبار النية عقلاً وواقعاً.

الفرع الرابع: مشروعية اعتبار النية من عناية العلماء بها.

المبحث الأول: (توحيد القصد) محل النية، ومراتبها وشروطها:

المطلب الأول: محل النية في الإسلام.

المطلب الثاني: مراتب النية.

المطلب الثالث: شروط النية.

المبحث الثاني: (توحيد المقصود) الإخلاص تعريفه، أهميته، علاماته، خطورة مخالفة

القصد باتباع الهوى أو الرياء:

المطلب الأول: تعريف الإخلاص .
المطلب الثاني: أهمية الأخلص وعلاماته.
المطلب الثالث: خطورة مخالفة القصد باتباع الهوى والرياء
الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.
القصد فى اللغة: - الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء على الإعتدال
كان ذلك أو جور، والقصد استقامة الطريق، والقصد الاعتماد والأمر^(١) .
والقصد والإرادة متقاربان فالقصد نوع من أنواع الإرادة.
وكذلك القصد، والنية متقاربان فى المعنى ولكن المصطلح المتداول بين العلماء هو
مصطلح النية، ولذلك تعرض تعريف النية لغة واصطلاحاً.
النية فى اللغة: - تدور فى تصريفاتها حول معنى القصد، والعزم فتقول العرب نواك
الله بخير قصدك به وأوصلك إليه".
قال صاحب المصباح "خصت النية فى غالب الإستعمال بعزم القلب على أمر من
الأمر"^(٢) .
النية فى الإصطلاح: يدور المعنى اللغوى، والاصطلاحى حول معن واحد وهو القصد
والعزم على فعل شيء .
فهى القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله^(٣) .
ومنه قولهم فى الجاهلية: نواك الله بحفظه أى قصدك به^(٤) .
ولكن ما هو الإخلص إذن؟
فاعن اعتبرنا أن النية هى تلك الإرادة التى تقصد الفعل، (فهى تتعلق بالفعل)
فالإخلص "هو تجريد هذا القصد فى العبادة وتوجيهه إلى الله فهناك فروق بين النية
والإخلص نحاول أن نوضحها.
الفرق بين النية والإخلص:

(١) لسان العرب، وتاج العروس، مادة (قصد).

(٢) المصباح المنير ص ٦٣٢،

(٣) هذه المسألة فيها خلاف حول كون النية هى العزم، والقصد كما قال أكثر العلماء أم أن النية
والعزم والقصد من أقسام الإرادة ولتفصيل هذه المسألة يرجع إلى كتاب الذخيرة ١/٢١٣٤،
ومواهب الجليل ٢/٢٣٠، بدائع الفوائد لابن القيم ٣/١٨٩، منتهى الآمال ١٤/١، المجموع للنووى
٣٦٧/١.

(٤) مواهب الجليل ٢/٢٣٠، فيض القدير ١/٣٠، المجموع للنووى ١/٣٦٧،

* النية تشتمل على الإخلاص، إذ أنه صفة من صفاتها، لا يمكن حصوله بدونها، أما النية فقد تحصل بدونها.

* النية تتعلق بالفعل نفسه، وما يقصد به، أما الإخلاص يتعلق بإضافة العبادة إلى الله.

النية ترتبط بالقصد وجوداً وعدمًا:

فالقصد حالة تعتري القلب عند الهم بالفعل، ولا بد لهذه الحالة من علم، يبعث على الفعل؛ لتحقيق غاية قد علمت، ويتبعها في ذلك العمل الذي هو ثمرة العزم الذي بعث القصد فالقصد، والعزم الجازم لا بد لهما من فعل محقق.

فمن توجه إلى مكة قد يكون قاصد الحج، وقد يكون قاصد مجرد الزيارة لأهله، أو لغيره من الناس، فإن كان يقصد الحج، فلا بد له من حصول أركانه، الذي يقتضيها القصد الذي قصده فإن كان جاهلاً بأركانه وشروطه فلا يمكن أن يحصل له قصد من البديهة لأنه لا يعلم المقصود إذا لا بد من علم يتبعه عمله.

النية أساس الأعمال وسرها، فبصلاحها تصلح الأعمال ويفسدها تفسد:

فالنية من أعظم الأمور التي ينبغي على العبد أن يحرص على صلاحها، ففيها صلاح الأعمال وقبولها، وبها فساد الأعمال، وهلاكها، فهي بالنسبة للأعمال كروح بالنسبة للأجساد فيها حياتها، وفي تركها موتها، لذلك أمرنا الله بالحرص عليها فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرىء ما نوى..." ولما كان الإنسان مأموراً، باستحضار النية في كل عمل، وكلفه الشرع بذلك، فلا بد للعبد من قدرة على التكليف لأن كما هو مقرر في أصول الشريعة، أنه لا تكليف إلا بمقدور لقوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)¹.

وتصحيح النية وقصدها لا يكون - كما يحدث من بعض الناس - بمجرد التلطف فيقول نويت أن أصلى مثلاً أو أركى أو كذا... الخ فلا يمكن أن يكون التلطف المجرد جالباً لصلاح النية، فلا بد لها من قصد وعزم جازم لما يقوم به ويفصل الإمام الغزالي هذه المسألة فيقول: إعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات، فيقول في نفسه عند تدرسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس الله، وأكل الله وبطن أن ذلك نية....

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ) ونبع في علوم عدة، وألف في فنون كثيرة وأشهر كتبه إحياء علوم الدين، والمستصفى في الأصول وتهافت الفلاسفة توفي عام (٥٠٥هـ)، (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٩/١٦٨) معجم المؤلفين ١١/٢٦٦.

وهيئات! فذلك حديث نفس وحديث اللسان منكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل من جميع ذلك وإنما النية انبعاث النفس، وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً، وإما آجلاً، والميل لا يمكن اختراعه، واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشيعان نويت أن اشتهى الطعام وأميل إليه، أو قولاً لفارغ: نويت أن أعشق فلاناً، وأحبه، وأعظمه بقلبي فذلك محال" (١).

فلتصحيح النية، وللسيطرة عليها ينبغي على العبد أن يجرد قلبه من كل شائبة تحول بينه وبين خالقه، وأن يحاول قدر جهده، أن يخلص قلبه من حب الدنيا، والأمل فيما عند الناس، والوصول إلى هذه الرتبة ليس باليسير. بل يحتاج إلى مجاهدة وصبر، وعناء، وخير معين على ذلك تذكر الموت، فهو مؤدب الجبابرة، ومربي القياصرة، وكفى للعاقل أن يتذكر مرقدته في التراب، وموقفه يوم الحساب يوم يفر المرء من أخيه وأمه، وأبيه، وصاحبته وبنيه لكل إنسان يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ ناضرة إلى ربه ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة.

ثم يعود ليتفكر في عالم الشهادة وما به من بديع صنع الله، وجميل مخلوقاته إلى أن تسما نفسه للوصول إلى حالة الاعتدال النفسى فيصبح الكثير عنده قليل والقليل عنده كثير، ويستوى عنده المدح، والذم، والفقر، والغنى فلا يرضى إلا بما يحبه الله ويرضاه ولا يغضب إلا بما يبغضه الله ويأباه. فعند ذلك يرجى للعبد أن يكون مخلصاً في أفعاله وجميع أحواله.

المبحث الثاني: مشروعية النية واعتبارها في العبادات والتصرفات:

أولاً: مشروعية اعتبار النية من القرآن الكريم:

أهتم القرآن الكريم بذكر النية والعناية بها وبيان مدى أهميتها، ومكانتها من الأعمال، وتضافرت الآيات وتنوعت الأساليب لذلك، إلى أن جعلها شرطاً لقبول العمل الصالح، والعمل الصالح هو ما اجتمع له أمران الأول: فيه صالحة قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ).

الثاني: الإقتضاء بالرسول ومتابعته قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا).

قال: (صلى الله عليه وسلم) "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"

(١) إحياء علوم الدين ٣٧٣/٤،

(٢) النية حينما تطلق يراد بها الإخلاص.

ومن ثمة كان لأى عمل يراد به القرية من الله أن يتوفر فيه هذان الشرطان المتلازمان الإخلاص والمتابعة فإذا أنفك أحدهما عن الآخر بطل الثانى وكان العمل غير مقبول.

ولكن لفظ النية لم يكن صريحاً فى القرآن بل كان يأتى تارة بلفظ (الابتغاء) كما فى قوله تعالى: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) (١)

* وتارة يأتى لفظا القصد والنية بلفظ الإرادة كما فى قوله تعالى:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (الكهف: ٢٨).

* وتارة يأتى لفظ النية، والقصد بلفظ الإخلاص.

كما فى قوله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (٢)

ثانيا مشروعية اعتبار النية من السنة على:

فقد ورد فى ذلك من الأحاديث حصى عدده ولا يتسع المقام لذكره.

ولكن المرجع فى هذا الباب لحديث عمر بن الخطاب الذى رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو أمرأه ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (٣).

فهذا الحديث يدل على أن المعيار الفاصل فى الأعمال هو وجود النية وعدمها.

وأن الأعمال التى تفنقر إلى النية لا اعتبار لها.

الفرع الثالث: مشروعية اعتبار النية من العقل والواقع:

القصد إلى الفعل واعتباره لا بد منه عقلاً (٤) والشرع لم يعتبر بالأفعال بدون نية:

فكل فعل اختياري لا بد لوقوعه من قصد وإرادة ينبعث من خلالها وقد نص على ذلك الإمام ابن تيمية حينما قال "القصد إلى الفعل أمر ضرورى فى النفس" (٥).

كما أن الشرع لم يعتبر بالأفعال التى تحدث من غير نية: فالأفعال الصادرة من الصبى الذى لم يبلغ الحلم، والمعتوه، والنائم لا يعتد بها، وإن كانت طاعات، وكذلك من

(١) سورة الليل (١٩، ٢٠).

(٢) سورة البينة (٥).

(٣) البخارى ومسلم وأصحاب السنن،

(٤) انظر كتاب الاشباه والنظائر للسيوطى، والذخيرة ٢٣٦/١، والحطاب على الخليلي (١/٢٣٤).

(٥) مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣٥٩/٢٠.

اغتسل بدون نية رفع الحدث الأكبر أو فعل أفعال الوضوء دون أن ينوي بها رفع الحدث الأصغر فلا اعتبار لعمله.
والدليل من الشرع بالنصوص الواردة في ذلك: وقد ورد في ذلك نصوص كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

١- لم يعتد بالشرع الحكيم نطق المؤمن بكلمة الكفر وهو مكروه قال تعالى: **(إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)** .^(١)

٢- وما قال الرسول عن الناس والمخطئ وما المستكره أنه لا يعتد بفعله ولا تركه.
فقال صلى الله عليه وسلم "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه"^(٢) .

خامسا النية تميز بين العادات والعبادات:

أ- تمييز النية العبادات:

* فالنية تميز بين الفرض، والفرض، وبين النفل، والفرض، وبين النفل، والنفل.

فالصلاة: مثلاً تنقسم إلى فرض، وNFL، والنفل ينقسم إلى: مستحب، ومؤكّد
فلا بد لتمييز صلاة الظهر عن العصر من نية تميز رتبتهما وكذلك لا بد من نية لا تميز بها صلاة ركعتي رغبة الفجر وصلاة الفجر. وكذلك لتمييز بين سنة العشاء وصلاة التراويح أو قيام الليل (النفل المطلق).
وإخراج الأموال: لا بد له من نية تفرق بين الزكاة الواجبة، والصدقة المستحبة والنذر والكفارات.

والصوم: كذلك النية تميز فيه بين صوم الفرض، وصوم النافلة.

ب- النية تفرق بين العادات و العبادات: فعلى سبيل المثال الغسل قد يكون لمجرد النظافة، والتبرد وقد يكون لرفع الحدث والنية هنا هي المميّزة بين الفعلين ما كان عادة وما كان عبادة.

الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من الفجر إلى المغرب بقصد القرية وقد يفعله مريض لمجرد الشفاء أو لأنه ليس له شهية، الأضحية: فالذبح يكون للتغذية أو للضيافة وقد يكون قرية لله مخصوصة بوقت معين لورود الشرع بها والنية هنا هي توضيح وتبين.

فضل النية

(١) سورة النمل،

(٢) رواه مسلم في صحيحه،

النية روح العمل: فالنية بالنسبة للعمل كالهواء، والماء وهي للإنسان كالروح بالنسبة للأجساد فكما أن الحياة تستحيل مع عدم وجودهم بالنسبة للإنسان فكذلك العمل لا يمكن أن يكون له، ثمرة ولا يرجى منه قبول بدون نية، لذلك قال تعالى عن المنافقين والمرآين (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) ^(١).

عناية العلماء بأمر النية: فقد أهتم العلماء بأمر النية على اختلاف تخصصاتهم ومذاهبهم وبيروا لها أبوابا مستقلة، وتناولوها بالتفصيل.

وعدو حديث "إنما الأعمال بالنيات، ربع الإسلام، أو ثلثه، أو نصفه وقد تحدثوا عن فضل هذا الحديث وأهمية العمل به في أبواب مستقلة ومن النقلات عنهم في فضل هذا الحديث ^(٢).

فقالوا عنه ليس في الأحاديث أجمع، ولا أغنى، ولا أنفع، ولا أكثر فائدة منه" وقال أبو داود جامع السنن:

"جمعت عن رسول الله خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما تضمنه هذا الكتاب (يعنى كتاب السنن) جمعت فيه أربعة آلاف، ثمانمائة حديث ويكفى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

أحدها قوله صلى الله عليه وسلم "من حسن إسلام المرء تركهم ما لا يعنيه" ^(٣).
والثاني قوله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات" ^(٤).

الثالث قوله صلى الله عليه وسلم "لا يكون المؤمن مؤمنا حتى لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه".

الرابع قوله صلى الله عليه وسلم - الحلال بين والحرام بين" ^(٥).

وكذلك الإمام أحمد يعتبر أصول الإسلام، وقواعده الثلاثة واعتبر منها "إنما الأعمال بالنيات".

فقد جعل أبو داود هذا الحديث ربع الإسلام وجعل الإمام أحمد ثلث الإسلام لما يحويه من شرف النية وعظيم أهميتها.

النية تجعل الإنسان يؤجر على عمله، وإن لم يقع:

(١) سورة الفرقان (٢٣).

(٢) انظر مقاصد المكلفين رسالة دكتوراة لدكتور عمر الأشقر ص ٩٠.

(٣) جامع العلوم والحكمه ص ١٠٥ حسنه النووى،

(٤) متفق عليه،

(٥) الحديث المشهور لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه" رواه مسلم،

(٦) متفق عليه،

فإذا عزم الإنسان عزمًا أكيداً، وهم بالفعل ولكن منع منه منعا جُزى عليه ونذكر في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم. إنما الدنيا لأربعة نفر عبد أتاه الله مالا وعلماً فهو يتقى في ماله ربه، ويصل رحمه، ويعلم فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالا فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته وأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً يخط في ماله بغير علم ولا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه فذلك بشر منزلة عند الله، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته وهما في الوزر سواء^(١).
فالحديث يوضح أهمية النية وجعلها المعيار الأمين في التمييز بين العقاب، والثواب وأنها هي الجالبة لهما مع العجز عن القيام بالعمل المحاسب عليه لأن النية هي التي تبقى له أجره فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر.

والباحث في باب النية يجد أن البحث يقتضى منه التقصى عن مسألتين هما:
أولاً الفعل الذى يريد وقوعه وحدوثه فالنية تحده وتميزه من حيث كونه عادة أم عبادة. ثانياً الغاية من وراء الفعل الذى أحدثه وأوقعه. فإن كانت عبادة فلن يوجهها، الله أم لإظهار الصلاح بين الناس؟.

وقد نص الإمام ابن تيمية على هذا التقسيم فقال النية المعهودة في العبادات تشمل على أمرين على قصد العبادة، وقصد المعبود^(٢).

فالمرء لا يتقدم إلى فعل إلا وقد ظهر له الهدف منه الذى يدعو إلى الإتجاه إليه والعمل به فيكون المنزلة تحديد الهدف بالنسبة للرامى، والغاية من الفعل، والباعث عليه من حصول مراد عاجل أو أجل كغاية الرامى للوصول إلى الهدف نفسه ووقوعه من أجله ويكون هو المنجز الذى كان سبباً لإنجازه ونحاول في الصفحات اللاحقة أن نستعرض هاتين المسألتين بالتفصيل.

الباب الأول

(توحيد القصد)

هو الباعث على الفعل ومحدده بقصد العبادة

ويشمل على أبحاث فى:

١- محل النية، وحكم الجهر بها.

(١).

(٢).

٢- مراتب النية.

٣- شروط النية.

محل النية

فلابد من تحديد مكان ومحل حدوث النية في بداية الحديث عن النية وشروطها. فقد اتفق علمائنا أهل السنة والجماعة على أن محل النية هو القلب الذي مكانه في الصدر وقد استدلوا بقوله تعالى: (وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (١) . وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ فَتِنَّا لَهُمْ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا) (٢) . وقوله تعالى: (وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (٣) .

فصريح الآيات يشير إلى أن القلوب هي محل الفهم، والفقه، والعقل (٤) .

والمقصود بالقلب هو: هو لطيفة ربانية، لها بهذا القلب الجسماني الصنوبر الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق (٥) ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميتها الحكيم النفس الناطقة، والروح الباطنة" .

حكم الجهر بالنية

التلفظ بالنية لا يجوز باتفاق علماء المسلمين، وهو بدعة محرمة في الدين ليست منه في شيء لأنه لم ينقل عن النبي، ولا الصحابة، ولا التابعين، ولا أحد من الأئمة الأربعة أنه كان يفعل ذلك ومعيار مشروعية العمل الدليل ولا دليل على ذلك فيكون الفعل محرم لأنه كما قرر علماء الأصول أن الأصل في العبادات التحريم، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن أحدث في أمرنا هنا ما ليس منه فهو رد" (٦) . وقد أفتى بحرمة هذا العمل كثير من العلماء منهم (٧) :

محمد التونسي المالكي قال: النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعه مع ما في ذلك من التشويش على الناس".

(١) سورة الحج (٤٥)،

(٢) سورة الحج (٤٥)،

(٣) سورة التوبة / ٨٧ .

(٤) فقد نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٦٢/١٨) إلا أن هناك خلافاً حول هذه المسألة فهناك من قال من العلماء أن محل النية الدفاع نقلاً من كتاب الذخيرة ٣٥/١ .

(٥) التعريفات للجرجاني (١٦٥) .

(٦) رواه البخاري،

(٧) انظر هذه النقولات في كتاب مجموعة الرسائل الكبرى (٢٥٤/١ - ٢٥٧) نقلاً عن كتاب مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ١٢٣، ١٢٤ .

فجعل المتلفظ بها مرتكب لحرمة الإبتداع، وإن كان يشوش على غيره يرتكب محرماً آخر لإضرار بغيره.

وقال الشيخ علاء العطار "ورفع الصوت بالنية مع التشويش على المصلين حراماً إجماعاً ومع عدمه بدعة قبيحة".

وقال الشيخ أبو عبد الله الحريري الأنصاري "ما كان النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه رضی الله عنهم، ولا أحد من الأئمة الأربعة، ولا علماء المسلمين يفعل مثل ذلك.... فإن زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدخل في دين الله ما ليس منه، يستتاب بعد التعريف، وتزاح منه الشبهة التي عرضت له فإن تاب وإلا قتل بذلك.

ويتضح من هذه النقولات حرمة الجهر بالنية والتلفظ بها إلى أن وصل العقاب في قول الحريري القتل اظهار البشاعة، وحرمة الابتداع في الدين وجعلها كبيرة من الكبائر لجعله عقاب من يصر عليها بالقتل.

والنظر لكون الجهر بدعة من وجهين: -

أولاً: الاعتقاد في فضل العمل وخيريته، ومشروعيته، ولم يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيكون لازم هذا الاعتقاد أن هذا العبد حصل خيراً لم يصل إليه النبي أو وصل إليه، ولم يبلغنا أياه رياء ولا زمان مستحيلان على الرسول لأن الأمة أجمعت على أن الرسول - كما شهد صلى الله عليه وسلم لنفسه - أنه أدى الرساله وبلغ الأمانه وتركنا على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلى هالك.

ثانياً: كونه مداوماً على الفعل، ولم يعلم له دليل، ولم يداوم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً عن عدم فعله له أصلاً فيكون الفعل بدعة محرمة في الدين مراتب النية

ومراتب النية هي كما قال الإمام السبكي خمسة مراتب تبء بالأدنى ثم تنتهي بالأقصى.

الأول: الهاجس: وهو ما وقع في النفس.

الثاني: الخاطر: وهو ما يجري في النفس ثم يذهب في الحال بلا تردد.

الثالث حديث النفس: وهو ما يقع من التردد، فمرة يميل إلى الفعل، وأخرى ينفر عنه ولا يستقر على حال.

الرابع: والهم: وهو أن يميل إلى الفعل، ولا ينفر عنه لكنه لا يصمم على فعله.

الخامس: العزم: هو أن يميل إلى الفعل ولا ينفر عنه بل يصمم عليه وهو قوة القصد،

والجزم به، ومنتهى الهم.

هل لكل مرتبة منها حكم خاص؟^(١)

لا يمكن القطع بذلك لأن الفاصل بين كل مرتبة، وأخرى ضعيف فضلاً عن كونهم متداخلين فيما بينهم من حدود، ولكن تقسيمها إلى ما اشتمل على عزم جازم، وما لم يشتمل على عزم جازم.

والنية غير الجازمة: تشمل على الأربعة مراتب الأولى وتتقسم حسب ترتب الثواب والعقاب عليها إلى قسمين:

الأول: ما لا ثواب عليه ولا عقاب ويشمل الهاجس، والخاطر، وقد ذكر السبكي الإجماع على عدم المؤاخذة بهما ونص على أن لا ثواب عليها.

الثاني: ما يؤجر عليه صاحبه إن كان خيراً ولا يعاقب عليه إن كان شراً ويشمل حديث النفس والهم^(٢)، قد روى ابن عباس - رضى الله عنهم - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال إن الله كتب الحسنات، والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عند حسنة كاملة فاعن حدهم بها فعملها كتبه الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاعن هو هم بها فعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة^(٣).

فالحديث صريح على أن الهم يؤاخذ به في الثواب، ولكن لا يعاقب عليه في العقاب إلا أن السيئة لا بد لكى يثاب على تركه اللهم أن يكون الترك لله.

فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال: قالت الملائكة يا رب ذلك عبد يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها) وأن تركها فاكتبوها له حسنة فإنما تركها في جرائ^(٤) وفي رواية من أجل^(٤).

فقال هذا الحديث أنه يشترط عن يثاب على الترك اللهم أن يكون ترك الله لقوله صلى الله عليه وسلم - (في جرائ^(٥)) أو قوله من أجل^(٥) كما صرح في رواية أخرى بقوله وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه^(٥).

(١) انظر كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي (٣٣) فتح الباري (١١/٣٢٧).

(٢) والمقصود بالهم هنا - على الأصح - الميل إلى الفعل قبل أن يصل إلى مرحلة العزم والتصميم.

(٣) صحيح البخارى (٣١ كتاب الرقاق).

(٤) فتح الباري فى شرح صحيح البخارى (فى كتابى الرقاق، والتوحيد (ط ١١، ٣٢٣).

(٥) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ١٤٨/٢.

النية الجازمة: - وهي القصد، والعزم وهي المرتبة الخامسة وينقسم بحسب الأفعال المتعلقة به إلى قسمين:

الأول: العزم، والقصد على الفعل من أفعال القلوب
فقد اتفق العلماء على أن العزم يثاب، ويعاقب عليه فإن كان العزم على فعل من أفعال القلوب الخيرة مثل الإيمان، ومحبة الرسول فيثاب عليه وأن كان العزم، والتصميم على الكفر، وتكذيب الله ورسوله فيعاقب على كفره، وتكذيبه.

الثاني: العزم، والقصد على فعل من أفعال الجوارح
فهو محل نزاع، والذي نختاره هو القول بأن العزم، والتصميم مؤاخذ عليه العبد لتضافر الأدلة على ذلك، والعزم الجازم الذي نقصده هو الذي يحتم معه وقوع الفعل لتوفر القدرة التامة له.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتُنْتُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ).
قال قرطبي: "استدل بهذه الآية على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم".
وقوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ).

فقد رتب العقاب في هذه الآية لمجرد النية، والإرادة الجازمة.
- وقوله تعالى: (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ).
قال القرطبي: الإصرار العزم بالقلب على الأمر، وترك الإقلاع عنه".
وقال الإمام النووي: وهذا ظاهر حسن لا مزيد عليه، وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر".

وقوله تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ).

- (١) سورة القلم (١٧ - ٢٠).
- (٢) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي (٢٤١/١٨).
- (٣) سورة هود (١٥، ١٦).
- (٤) قاله القرطبي في تفسيره ٢١١/١٤.
- (٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٢٧/١١.

قال القرطبي: عن جماعة من أهل التأويل إنهم احتجوا بالآية على أن الإنسان يعاقب بما ينويه، وإن لم يفعله" (١).

* وستدلوا من السنة بقوله - صلى الله عليه وسلم - من أى فراشه، وهو ينوى أن يقوم يصلى في الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقه عليه من ربه" (٢).

فقد سوى في الحديث بين القائم من ليله يصلى، والنائم الذى عقد العزم، والنية على القيام، وبذلك يكون رتب الثواب على مجرد العزم، والإرادة التامة. شروط النية، ومبطلاتها الشرط الأول: أهلية الناوي.

وليتحقق شرط الأهلية لابد أن يكون الناوي ممن تصح عبادته بأن يكون مسلماً عاقلاً، مميزاً كما يأتي:

١- الإسلام: فلا يقبل العمل من العبد ما لم يكن مسلماً لقول الله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) .

لذلك فالأعمال الخيرة التى قام بها الكافر، ومات عليها، فلن تقبل منه، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ...) (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم حينما سألته عائشة قائلة: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين فهل ذلك نفعه قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً "رب اغفر لى خطيئتي يوم الدين" (٥).

ومع ذلك فإن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة فهو لا يضيع أجر العاملين فهو يجزى الكافر على عمله الحسن فى الدنيا إما فى الآخرة فهو من الخاسرين.

قال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات قام بها لله فى الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها" (٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،

(٢) ٤٤.

(٣) سورة آل عمران (٨٤).

(٤) سورة آل عمران (٩٠).

(٥) رواه مسلم ٨٦/٣ شرح النووى،

(٦) رواه مسلم شرح النووى ١٤٩/١٧.

أما الأعمال الصالحة التي يرتكبها المسلم حال كفره: فتقبل منه تفصيلاً من الله وامتنانا. بلا إن من عظيم فضل الله أنه يبذل سيئات التائب حسنات.

فقال تعالى: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)** (١)

- وقوله صلى الله عليه وسلم "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل، والمقتول فى النار.

قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال إنه كان حريصاً على قتله صاحبه" (٢).

فالقَتيل لم يقتل ولكنه عزم على قتل صاحبه، ولم يفعل، ومع ذلك عوقب على عزمه وقصده.

فهذه الأدلة وغيرها كثير توضح أن العزم الجازم مؤاخذ عليه العبد والله أعلم.

وقال صلى الله عليه وسلم عنها عندما سأل أحد الصحابة فقال له: أى رسول الله رأيت أموراً كنت أتحدث فيها فى الجاهلية من صدقة، أو عتاقة أو صلة رحم أفبها أجر فقال: صلى الله عليه وسلم أسلمت على ما أسلفت من خير" (٣).

هذا بالنسبة للكافر فما بالك بالعاصى الذى يتوب إلى الله ويرجع إليه فيغفر له ذنبه ويبذل سيئاته حسنات فما أرحم الله بعباده أو الطفه بهم!.

شروط العقل فى الناوى:

فالنوية لا تصح من غير العاقل لأنه لا يعقل ما يفعله فليس له فى فعله إرادة. فكما قال العلماء العاقل مناط التكليف.

شروط التمييز فى الناوى: فالصبي غير المميز لا تعتبر نيته.

فحج الصبي غير المميز: يصح حجه مع عدم اعتبار نيته.

لقوله صلى الله عليه وسلم عندما مر بامرأة فى محفتها، فأخذت بعضد صبي كان معها فقالت ألهدا حج؟ فقال نعم، ولك الأجر" (٤).

(١) سورة الفرقان (٦٩).

(٢) رواه مسلم انظر شرح النووى ١٤٠/٢.

(٣) رواه مسلم، ومالك فى الموطأ،

(٤) رواه أبو داود، والحاكم، الترمذى، والدارقطنى،

إما عن تصحيح حجه مع عدم اعتبار نيته فهذا يرجع إلى موضوع النيابة في النية؛ لأنهم لم يعتبروا نيته في ذلك، واعتبروا نية وليه.

أما الصبي المميز: فتصح منه النية.

فقد أمرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع وأن نضربهم عليها لعشر".^(١)

الشرط الثاني: الجزم والتجيز: .

فالتوجه إلى العمل لإحرازه لا يكون له نية إلا أن يكون قصد التوجه جازماً بلا تردد فيه فلا يتحقق القصد الجازم إلا أن يكون العمل المراد فعله معلوماً للناوي، أو مظنوناً ظناً راجحاً.

فلا يمكن لأحد من الناس أن ينوي نية لعمل لا يعلمه، فالذي لا يعلم أهميه الصلاة وكيفية أداء أركانها وواجباتها كيف ينوي للصلاة نوباً جازماً بلا تردد. فما حكم الشك :^(٢)

الشك يعود إلى سببين: -

١- الأول جهل ببعض ما يجب أن يعلمه في المنوى.

٢- الثاني شكه بعد دخوله في العبادة هل وقعت منه أم لا؟

ونتعرض لبعض المسائل التي تتدرج تحت لك سبب.

أولاً: الشك بسبب الجهل ببعض أمور تتعلق بالمنوى.

الشك في الحدث: - فالرجل إذا كان على حاله طهارة، ثم شك هل أحدث أم لا.

فإنه لا يجب عليه الوضوء لأن الشك يبني على اليقين،

والمتيقن هنا الطهارة، والحدث شكوك فيه. ولكن لو توضأ شاكاً احتياطاً هل يبطل

وضوءه أم لا؟ الصحيح إن عُلِمَ أنه أحدث قطعاً؟

الصحيح من أقوال العلماء أن وضوءه صحيح لأنه صادف الحدث فرفعه.

الشك في الصلاة: إذا تأكد المرء أنه ترك الصلاة يوماً ما، إما لنوم أو نسيان ولكنه لا

يعلم أى صلاة تكون الصبح أم الظهر إلخ.

فالصحيح الذي عليه جمهور العلماء أنه يصلّى الخمس، صلوات ينوي بكل وحدة

منهم الصلاة الفائتة.

وقد يقول قائل كيف يعتبر ذلك مع كون النية غير جازمة؟!

(١) انظر قواعد العز بن عبد السلام - مكتبة الكليات الأزهرية (١/٢٤١)،

(٢) انظر مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ٢٢٩،

فنجيب بأن الشارع جعل شكه، ونسيانه سبباً لوجوب إعادة الجميع لأنه لم يحدد المتروك على الأصل أنه لم يصلح فإن شك في أى الفروض صلى فيكون شكه سبباً لوجوب جميع الصلوات مرة أخرى في ذلك اليوم.

الشك في أصل النية: - إذا شك رجل بعد دخوله في العبادة- صلاة أو صيام أو زكاة أو غيرهما من العبادات - أنه لم ينو وكان هذا الشك مجرد وسواس لا بنية له ولا أساس فلا اعتبار له، وتكون العبادة صحيحة.

إما إذا تيقن من شكه فعبادته باطلة، ويجب عليه الإعادة. تعليق النية بحصول شيء ما: فالعبد إذا علق نيته بحدوث شيء معين أو موافقته لشخص ما فنيته باطلة كما يقول أصوم غط إذا لم يحضر فلان فيكون صيامه باطلاً.

لأن نيته غير جازمة. إما تعليقها بشيء يمكن حصوله، وقد يحصل، وقد لا يحصل ففيه قولان للشافعية أصحهما البطلان.

وإذا علق نيته بمشيئة الله فإن كانت نيته جازمة ويعلقها بالمشيئة من جهة أن الأمور كلها بيد الله، وتحت مشيئته فنيته صحيحة.

وإذا علق نيته بمشيئة الله على أنه متردد فنيته باطلة^(١).
الشروط الواجب حكم النية^(٢) :

جعل العلماء النية شرطاً في العبادة لا تصح بدونها. أما تذكرها أثناء العبادة، وعدم الغفل عنها لا يمكن حصوله لأن ذلك من التكليف بما فوق المقدور، والله تعالى لم يكلف النفس إلا بما في وسعها، فالعبد أثناء عبادته يكون مشغولاً بأداء أركانها، وواجباتها فلا بد له أن يغفل أو ينس النية الأصلية للعبادة.

ولكن يجب عليه استصحاب حكم النية دون حقيقتها ومعنى هذا أن الشرع يعتبر حكم النية الأصلية ما لم تنقض أو يأتى بما ينافيها، ويبطلها كأن ينوى قطعها أو رفضها. حكم النية التي يرفضها العبد:

ورفض النية إما أن يكون بعد الانتهاء منها، أو في أثناءها

(١) انظر الأشباه والنظائر لابن نجيم (٥٢) فتح القدير (٥٢/٢).

(٢) راجع هذه المسألة في كتاب: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (٣٠٧/١)، الذخيرة ٢٤٣/١، الحطاب على الخليل (٢٣٠/١).

رفض النية بعد تمام العبادة: فلا أثر له لأن العبادة قد انصرف محلها التي وقعت فيه ولا يمكن أن .. (فلا يمكن أن ترفض) بحال إلى الأحوال.

رفض نية العبادة أثناء القيام بها:

وهذه المسألة محل نزاع والذي عليه جمهور العلماء أن العابد إذا رفض النية فيه أثناءها فهي باطلة إلا في الحج والعمرة وهو الذي عليه أكثر العلماء ويؤيده الدليل. وذلك لأن النية شرط في العبادات كلها وكما قلنا باعتبار استصحاب الحكم الأصلي للنية حقيقتها ما لم تنقض في أثناءها فإن نُقضت فَقَدَ الشرط مشروطه والدليل على ذلك حديث "إنما الأعمال بالنيات" ^(١).

إما بالنسبة على عدم اعتبار رفض نية الحج، والعمرة يقول الحطاب "الإحرام سواء كان بحج وعمرة أو بهما أو باطلاق لا يرتفض ولم أر في ذلك خلافا ...".

وقد علل بعضهم تخصيص الحج والعمرة بعدم الاعتبار لرفض نيتها بأنهما عبادتان فيكون عدم تأثير الرفض دفعا للمشقة الحاصلة.

وينبغي أن ننتبه أن النية التي تؤثر بالبطان، وهي العزم الجازم الذي لا تردد فيه، إما مجرد الهواجس والخواطر، وحديث النفس، والهيم بدون عزم جازم فلا عبرة له ولا تأثير.

قلب النية، وتغيرها: فقلب النية أو تغييرها مبطل لها.

ويقول ابن حزم في ذلك "أن من صرف نيته من صلاة إلى صلاة متعمداً فصلاته باطلة فإن كان ناسياً بطلت الأعمال التي قام بها في أثناء ذلك، وعندما يتذكر، عليه أن يعيد ما فعله أثناء النسيان، ويسجد للسهو" ^(٤).

أقسام النيات التي قلبت :

الذي يتصور في نية القلب أقسام:

الأول نقل فرض إلى فرض فيبطل الفرض الأول ولا يصح الثاني.

فان كان يصلى الظهر وغير نيته إلى العصر - مثلا - فصلاة الظهر تكون باطلة، ولا يصح منه العصر.

(١) رواه البخارى،

(٢) الحطاب على الخليل (١/٢٤٠)،

(٣) انظر كتاب المحلى لابن حزم ٥٠/٤،

(٤) انظر فى المغنى ١/٤٦٨، المجموع ٣/٢٥١، مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ٢٤٣،

والصوم كذلك لا يجوز قلب رمضان إلى غيره.

الثانى نقل فرض إلى نفل:

إذا نقل صلاة فريضة إلى نافلة فإن كان لهدف صحيح، كأن يحرم منفرداً فتحضر جماعة، فيجعل ما كان يصلى نفل أو نوى الفريضة ثم بان له أن وقتها لم يدخل فيتسوفها نافلة.

الثالث نقل نفل إلى فرض وهو لا يصح الإجماع

الرابع نقل نفل إلى نفل: إذا كان النفل مطلق فالغالب العلماء يرون صحة ذلك، أما إذا كان مقيد فلا يصح.

"تغيير النية"

وهو ليس قلباً للنية مطلقاً بل هو تحول وتغيير يطرأ فيما عزم عليه المرء.

وذلك المصلى يدخل في صلاته منفرد ثم يأتي إليه آخر فيصبح أماماً أو يكون إماماً فيصبح مأموماً، أو منفرداً وكل هذا لا يضر في صحة الصلاة كما تؤكد ذلك الأدلة الصريحة.

فمن الأدلة على صحة صلاة المنفرد الذى أصبح إماماً^(١):

أ- حديث ابن عباس، قال بت عند خالتي فقام النبي متطوعاً من الليل، فقام إلى القرية فتوضأ، فقام يصلى، فقامت لما رأيته صنع ذلك فتوضأت من القرية، ثم قمت إلى شقه الأيسر، فأخذ بيدي من وراء ظهره يعدلنى كذلك إلى الشق الأيمن^(٢).

ب- وحديث الذى فاتته صلاة الظهر فأحرم منفرداً، فقال - صلى الله عليه وسلم - "من يتصدق على هذا"^(٣).

ومذهب الإمام الشافعى أنه يجوز الاقتداء بالذى نوى الصلاة منفرداً متنفلاً كان أو مفترضاً للأدلة السابقة.

وقال ابن قدامة أن الأصل مساواة الفرض للنفل فى النية، ولأن الحاجة تدعو إلى نقل النية إلى الإمامة لأن المنفرد إذا جاء قوم فأحرموا وراه فإن قطع الصلاة وأخبر بحاله قبح وكان مرتكباً للنهى بقوله تعالى: (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)^(٤).

(١) راجع هذه المسألة بتفصيلاتها فى كتاب المغنى لابن قدامة (٢/٢٣١ - ٢٣٢)،

(٢) متفق عليه،

(٣) انظر نيل الأوطار للشوكانى ١٥٢/٣ قال حسنه الترمذى، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم،

(٤) سورة محمد (٣٣)،

واستدل بالقياس على جواز ذلك مقياس هذه المسألة على ما جاوزه من انتقال المأموم ليصبح إماماً في حال فساد صلاة إمامه، فليصبح انتقال المنفرد ليصبح إماماً كذلك".^(١)

* المأموم يصبح منفرداً: -

ويدل على ذلك حديث أنس بن مالك^(٢) أن معاذ بن جبل صلى بأهل قباء فأطال الصلاة طويلاً طويلاً شق على بعض المأمومين فتجوز رجل في صلاته وأكمل لنفسه، وعندما علم الرسول بذلك لام معاذ ولم ينكر على الرجل.

تغيير نية القصر إلى إتمام: لا يجوز لمن دخل في صلاة نوى إتمامها أن يغير نيته إلى القصر أما إذا وفق فيها ينوي القصر ثم نوى الإتمام، أو تغيرت نية المسافر فعزم على الإقامة فصلاته أيضاً صحيحة على الأصح لأن الأصل الإتمام.^(٣)

اختلاف نية الإمام والمأموم .

ليس لها أثر فالصلاة صحيحة

ولا خلاف بين العلماء في أن هذا ليس له أثر إذا اقتدى المنتفل بالمفترض لحديث الرسول السابق من يتصدق على هذا فقام رجل وصلى خلفه.

أما الخلاف في إقتداء المفترض المنتفل واستدلوا بحديث إنما جعل الإمام ليؤتم به "إنما جعل الإمام ليؤتم به" ولكن هذا الحديث ليس شاملاً للنيات فيجب متابعة الإمام في الأفعال الظاهرة.

ومن أدلة ما يذكر في ذلك حديث معاذ بن جبل أنه كان يصلى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يرجع إلى قومه فيصلى بهم تلك الصلاة"

وفى رواية أخرى قال - صلى الله عليه وسلم - فى صلاة معاذ الثانية "هى له تطوع، ولهم فريضة" فقد كان يصلى مع النبي الفرض ويعود ليصلى بقومه النفلة وهم يصلون وراءه الفريضة.

وكذلك حديث عمرو بن سلمة أم قومه وهو ابن سبع سنين، وكان ذلك بأمر النبي لأنه كان أقرؤهم لكتاب الله.

(١) انظر المغنى ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) الحديث متفق عليه.

(٣) انظر كتاب مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر فقد عرض هذه المسائل بشيء من التفصيل (ص ٢٤٩ - ٢٥٧).

(٤) انظر كتاب مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر فقد عرض هذه المسائل بشيء من التفصيل (ص ٢٤٩ - ٢٥٧).

فصلاة الصغير هي له نفل ولم تفرض عليه وصلاتهم خلفه فريضة فمن هذه الأدلة وغيرها كثير نجد أنه يجوز إمامة المنتقل بالمفترض.^(١)
الشرط الرابع عدم التشريك في النية^(٢).
أن يقصد بالعمل الواحد قربتين، كأن ينوي بالصلاة الرباعية فائته، وفريضة الوقت الحاضر.

والقاعدة العامة التي يكاد يجمع عليها الفقهاء على أن هذه النية غلط لأن العبادة الواحدة لا يمكن أن تغني عن عبادتين.
بعض العلماء أجاز في بعض العبادات اجتماع عبادتين، من ذلك من نوى يتيممه رفع الحدثن الأكبر والأصغر، أو نوى بصلاته الفريضة، وتحية المسجد أو غسل الجمعة، والجنابة وذلك لأن مراد الشارع يتحقق بحصول الفعل فتحية المسجد تحصل بأداء الفريضة، نوى أو لم ينوها، لأن المراد شغل البقعة بالعبادة.
وابن حزم يرى بطلان كل عبادة قصد بها تحقيق قربتين سواء كانت العبادة صلاة إم صوما إم زكاة، ولم يستثنى من ذلك إلا من خرج قصد العمرة بالحج في حالة إحرامه بهما والهدى معه، لأن هذا هو الحكم الذي شرعه الله في هذه الحالة^(٣).
وأكثر العلماء على أن من قصد أكثر من عبادة بالفعل الواحد تحصل واحدة منهما ولا تبطل كلها والأحناف يرون العبادة الأوجب لها الأولوية فإذا نوى بالمال الزكاة وكفارة اليمين كانت زكاة.

الشرط الخامس: العلم بصفات المنوى

فلابد للمناوي أن يعلم صفات وأركان وواجبات العمل الذي يريد حدوثه.
وعدم تعيين هذه الأمور الواجبة يبطل النية كما يبطل العبادة، فالذي يصلى ولم ينو بصلاته الظهر مثلاً لا يجوز أن يحتسبها بعد ذلك ظهراً.

الشرط السادس: أن تتعلق النية بمكتسب للناوي:

إذ يستحيل على المرء أن ينوي فعل غيره، وممن ذكر هذا الشرط الحطاب على خليل، فقال الشرط الأول أن تتعلق بمكتسب للناوي، فإنها مخصصة، وتحصيل غير المفعول للمخصص محال وكذلك امتنع فعل الإنسان لغيره^(٣).

الشرط السابع: قصد العبادة دفعة واحدة:

(١) انظر المحلى لابن حزم ١٣٨/٤، مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ٢٥٥.

(٢) انظر المحلى ١٧٤/٦.

(٣) الحطاب على خليل (٢٣٣/١).

(١) وقد حقق العز بن عبد السلام القول في هذه المسألة فقال: تفريق النية على الطاعة يختلف باختلاف الطاعات، والطاعات أقسام: أولها: الطاعة متحدة، وهي ما يفسد أولها بفساد آخرها كالصلاة، والصيام يجوز تفريق النية على أبعاضها. مثالها في الصيام: أن ينوي إيساك الساعة الأولى وحدها، ثم ينوي إيساك الساعة الثانية، وكذلك لو فرق نية الصلاة على أركانها وأبعاضها، مثل أن يفرد التكبير بنيته، والقيام بنية ثانية، والركوع بنية ثالثة وكذلك إلى انقضاء الصلاة، فإن صلاته لا تصح لأن ما نواه من هذه المفردات ليس بجزء من الصلاة على حياله.

ثانيها: طاعة متعددة كالزكاة والصدقات، وقراءة القرآن، فهذا يجوز أن يفرد أبعاضه بالنية، وأن يجمعه في نية واحدة، فلو فرق النية على أحد جزئي الجملة في القراءة مثل أن قال: بسم الله؟ أو قال: فالذين آمنوا فالذي أراه أنه لا يثاب على ذلك، ولا يثاب إلا إذا فرق النية على الجمل المفيدة إذ لا قربه في الإتيان بأحد الجزئي الجملة، وجمل القرآن ضربان:

أحدهما: ما لا يذكر إلا قرآناً كقوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) (٢). فهذا يحرم على الجنب قراءته.

الثاني: ما يغلب عليه كونه ذكرا ليس بقرآن كقوله: بسم الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، فهذا لا يحرم على الجنب قراءته إلا أن ينوي به القراءة لغلبة الذكر عليه. ثالثها: ما اختلف في اتحاده كالوضوء، والغسل، فمن رآهما متحدين منع من تفريق النية على أجزائهما، ومن رآهما متعددين جوز تفريق النية على أبعاضهما (٣). "توحيد المقصود من العبادة

هو توجيه العبادة إلى الله دون سواه، ولا عبرة بما سواه لقوله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) والقرآن يطلق على هذه الغاية وهذا المقصد مصطلح الإخلاص لخلاصه من كل شائبة تحول بين العبد، وبين ربه. تعريف الإخلاص:

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد بدمشق عام (٥٧٧هـ) له كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" توفي سنة (٦٦٠هـ) راجع كتاب شذرات الذهب (٣٠١/٥)،

(٢) سورة الشعراء ١٠٥،

(٣) قواعد الأحكام (٢١٩/١).

ومصطلح الإخلاص في اللغة يدور حول الصفاء، والتميز عن الشوائب التي تخالط الشيء.

الإخلاص عند العرب: ما أخلصته النار من الذهب، والفضة.

ومنها قوله تعالى: (خَلِّصُوا نَجِيًّا) أي انفردوا، وتميزوا.

والإخلاص في الشرع كما يعرفه العلماء:

هو أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيماً من الناس، ولا توقيراً، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي^(١).
قال سهل بن عبد الله الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة^(٢).

وقال الإمام القشيري الإخلاص: تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين^(٣).

وقال الحارث المحاسبى "الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب".

أهمية الإخلاص: الإحسان لا يقابل إلا بالإحسان:

فإنه تعالى متفضل على عباده، يحسن إليهم قائم بحاجاتهم يقضى العدل بحكمته ويوقع الفضل برحمته فهو باديء العطاء وهو ولي النعم لا للحاجة بطلبها سبحانه من عبده فهو أعز وأقوى من أن يحتاج إلى مخلوقاته فهو أغنى عن العباد وعن عبادتهم قال تعالى في الحديث القدسي "يا عبادي إنكم لن تضروا فترضوني ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني".

فلا يستقيم لعاقل أن يهتم الله به في خلقه وأخراجه في أحسن صورة، ويطعمه ويسقيه، ويعلمه، ويهديه إلى حاجاته وإلى مصالحه ثم بعد ذلك ينزل عليه رحمة منه وامتنان الهدى والبيان ليخرجه من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديه إلى صراط مستقيم ثم بعد ذلك يتوجه لغيره بعبادته أو يشرك معه أحداً في طاعته لذا كان واجباً على العبد بمقتضى الفضل والامتنان أن يقابل ربه بالطاعة. والإحسان.

* تمام العبودية لله كمال حرية العبيد

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام (١/٤٦١).

(٢) هو سهل بن عبد الله التستري، أحد أئمة الصوفية المتكلمين في الإخلاص، والرياضة ولد عام (٢٠٠هـ)، وتوفي عام (٢٨٣هـ). له تفسير القرآن، و (دقائق المحيين) انظر وفيات الأعيان (٢١٨١١).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٣٨١).

(٤) الرسالة القشيرية (ص ٩٥) ودليل الفالحين (١/٤٢).

(٥) إحياء علوم الدين (٤/٣٨١).

العبودية لله هي كمال حرية العبيد فلا عز حقيقي ولا قوة ولا سلطان إلا بتمام العبودية لله كما قال الله تعالى (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (١).

والإنسان عبد الله شاء ذلك أم أبى فإن أباه بعقله وتصرفاته فلم يأباه قلبه وقالبه لأن الإنسان محبوبك على عبادة الله منذ أن خلق الله الخلق فقد أخذ على الخلق جميعاً الميثاق باعترافهم بعبوديتهم لله فقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...) (٢). الآيات.

مخالفة القصد للمقصود الأعظم

فالمقاصد الخيرة هي التي قصدها الشارع من عبادة العباد، ووجهت له وحده دون سواه. فإذا خالف القصد مقصوده، فعمله غير صحيح وغير مقبول عند الله؛ لأن العبادة شرعت كوسيلة إلى مصالح أرادها الله، ورضيها فإذا خالفها العبد فقد جعلها وسائل لمصالحه، لا كما أرادها الله.

ومن صور مخالفة المقاصد من أبرزها كالاتي:

١- اتباع الهوى:

فأكثر الناس لا يحركهم للعمل ويدفعهم إليه إلا أهوائهم وتكون هي الغاية التي يسعى صاحبها لتحقيقها ولإشباع غرائز نفسه التي لا تنتهي فيكون هو إله ومعبوده كما قال تعالى: (رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (٣).

واتبع الهوى مخالف لقصد الشارع بما شرع لأنه ينساق مع هواه أينما يوجه فهو لا يحب إلا بما يهوه ولا يخاف ولا يعظم إلا بما يهواه فأصبح أسيراً ذليلاً لهواه أما الإخلاص فهو توجيه الإرادة والعزيمة والأفعال كلها لله فلا يجب ولا يبغض إلا بمراد الله ولا يخاف ولا يرجو ولا يعظم إلا الله فكيف يجتمع في قلب العبد إخلاص وهوى والله تعالى ما جعل للعبد من قلبين في جوفه.

تعريف الهوى هو محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه ... ومتى يتكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً، حتى ينعت بما يخرج عن معناه، كقولهم هوى حسن وهوى موفق للصواب" (١).

(١) الصافات (١٧٠، ١٧١، ١٧٢)،

(٢) سورة الأعراف (١٧١).

(٣) سورة الفرقان (٤٣).

فالنفس لا ترضى ولا تطمئن إلا بطاعة الله لأنها مركبة عليها لا تتوافق ولا تتألف إلا معها فإن حُصلت لها نالت غايتها في الدنيا من الراحة والسكينة والسعادة التي هي أسمى غاية لكل إنسان ولم يكن لها في الآخرة جزاء إلا الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الإخلاص لله رفعة للعبد:

والعبد إن لم يكن عبداً لله يتمتع بعز عبادته فهو عبد لغير الله ينغمس في ذل معصيته، فالإسلام هداية الله إلى البشر كما قال ربي بن عامر الصحابي الجليل الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة" (٢).

فيا لهما ! من كلمات تتلأل كالجواهر المضيئة.

كلمات خرجت من قلب تشبع بالإيمان ليرسم للناس حقيقه المنهج الإسلامى الذى لم يختلف العالم إلا لما نسوا حقيقة هذا الدين، وفضله على الخلق أجمعين.

فالنفس الإنسانية لا تسمو ولا ترتفع إلا بتوجهها إلى الله، فالفطرة الإنسانية تدفع الإنسان إلى التوجه إلى المعبود الحق والفطرة قد لا تعرف حقيقة هذا المعبود ولكنها تطلبه دائماً فأرسل الله رسله لهداية الناس إلى معبودهم الحق وعند ذلك يصل الإنسان إلى مطلوبه، ومعبوده ويتوحد اهتمامه، وترضى نفسه ويطمئن قلبه، أما الإنسان الذى يوجه قصده وهمه، لغير فاطره وخالفه لا يطمئن قلبه ولا تهدء نفسه بل هو فى شقاء دائم وتعاسة أبدية قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (٣).

وللإنسان فى ذلك ثلاثة أحوال (٤).

الأولى: أن يغلبه الهوى فيملكه، ولا يستطيع له خلافاً، وهو حال أكثر الخلق وهو الذى قال الله فيه (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).

الثانية: أن يكون الحرب بينهم سجلاً تارة لها اليد، وتارة عليها اليد، فهذا الرجل من المجاهدين، فإن اخترمته المتية فى هذه الحالة فهو من الشهداء.

(١) لسان العرب لابن منظور (٨٤٩/٣).

(٢) البداية والنهاية (٣٩/٧) ط الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف - بيروت.

(٣) سورة طه آية (١).

(٤) انظر ميزان العمل للغزالي (ص ٤٢٠)، طبعة دار المعارف الطبعة الأولى (١٩٦٤م).

الثالثة: أن يغلب هواه فيصير مستولياً عليه لا يقهره بحال من الأحوال، وهذا هو الملك الكبير، والنعيم الحاضر، والحرية التامة، والخلص من الرق. ومراقبة الله في جميع أعمالنا

فالنفس الإنسانية مجبولة على حب الخير، مغروس في أعماقها وازع يبعثها على الخير، ويزجرها عن الشر، ولكن هذا الوازع مع كثرة التعلق بالدنيا، والأمل فيها يكاد ينطمس، لما يصيب النفس من غفلة تعمى الأبصار عن الحقيقة التي خلق الإنسان من أجلها، وتطمس القلوب فلا تشعر ولا تهوى إلا بما يرضى النفس ويشبع الغرائز ولا تزول هذه الغفلة، ولا يحيى هذا الوازع إلا بالنظر إلى حقيقة هذا الإنسان وحقيقة الكون من حوله وهل أن حقيقة الإنسان ستنتهي بانتهاه هذا الوجود أم أننا لابد أن نعود لنحاسب على كل ما قدمته أيدينا.

فإن علم الإنسان هذه الحقيقة^(١) وتيقن بها في قلبه وطن نفسه على وجهة واحدة لا يحيد عنها أبداً وهي العمل من أجل مرضاة الله فخوفه ورجائه من الله وحبه وبغضه لله، ومدده وأسعاده من الله فلا يخاف في الله لومة لائم.

وهذه حقيقة والعمل بمقتضاها هي سبب نجاة الإنسان لأنها توقظ القلوب وتوثق الصلة بينها وبين ربها، وتزيل دون حب الدنيا والأمل فيها فأنى لعاقل يحب ما ليس بباقي ويعمل لما هو فاني!

وقد أودع الله النفوس حبا محبوبات تهواها، وتعشقها لحكمة بالغة علمنا منها ما علمناه وجعلنا منها ما جهلناه ولكي يحقق الإنسان ما خلق من أجله وهو إعمار الأرض بعبادة الله قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

فايداع النفس هذه الشهوات وحبها ليس مذموماً، وإنما المذموم هو طلب هذه الأمور من غير الطريق المشروع لها، أو الأتسغال بها عن طاعة الله. واتباع الهوى بالاستجابة للنفس الأمارة بالسوء من أعظم الضلال قال تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) .

(١) حقيقة الموت، والحساب، والجنة والنار،

(٢) سورة آل عمران (١٤).

(٣) سورة القصص (٥٠).

وقد عدَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - اتباع الهوى من الثلاثة المهلكات فقال:
 "ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه" ^(١) //
 وكل من له بصيره مستنيره ورؤية إيمانية قويمه يعلم أن ما واصل بالقلوب، والعقول
 والأفراد والأسر، والمجتمعات هو حصيلة اتباع الهوى يقول ابن القيم: وكل من له
 مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأى على الوحي،
 والهوى على العقل، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه،
 وفي أمة إلا وفسد أمرها وأتم الفساد" ^(٢) .
 علاج الهوى

ولمعرفة كيفية النجاة من هذا المرض المهلك يجب أن نتعرف على أحوال الإنسان في
 مقابلة هذا المرض العضال.

ومما يقوى وازع الخير في الإنسان أن يربط قلبه بالله خوفاً وطمعاً، ورغبة، ورهبة
 فالخوف من الله، والوقوف بين يديه في الصلاة والتذلل له والإنابة إليه تقهر وازع
 الشر وتمحيه. قال تعالى: **(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ
 الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)** ^(٣) .

وورد في تفسير هذه الآية ^(٤) . الذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية فإذا أقدم
 عليها بحكم ضعفه البشرى، قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم، والاستغفار،
 والتوبه، فظلَّ في دائرة الطاعة، ونهى النفس الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة
 الطاعة فالهوى هو الدافع القوى لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية وهو أساس
 البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إل من قبل الهوى فالجهل سهل علاجه،
 ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها،
 والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة وقل أن يثبت غير هذا
 الحاجز أمام دفعات الهوى، ومن ثم يجمع السياق بينهم في آية واحدة.

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (مشكاة المصابيح ٦٣٧/٢).

(٢) كتاب أعلام الموقعين لإمام ابن القيم (٧٢/١).

(٣) سورة الشمس (٧ - ٨).

(٤) انظر ظلال القرآن (٣٨١٨/٦) لسيد قطب طبعة دار الشروق - بيروت (١٩٣٨م).

أن يحاسب العبد نفسه: فما تقوى النفس على دفع الهوى ومعرفة طرقه التي يتخلل إلى القلب العبد منها أن يحاسب المرء نفسه كما كان دأب الصالحين قال عمر بن الخطاب: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنها قبل أن توزنوا"^(١).

أحوال المحاسبه: الحالة الأولى: أن يحاسب المرء نفسه قبل أن يقدم على العمل، وينظر في قصده وإرادته فالمرء إذا استطاع أن ينفى خاطرت القلب قبل تمكنها سهل عليه دفعها فالخطرة النفسية يتبعها همُّ قلبى فيصبحان إرادة جازمة يتبعها عمل. الحالة الثانية: أن يعصى داعى الهوى ويخالفه، وعصيان داعى الهوى يكون بصبر عن موافقة المعاصى، والذنوب، وقد كثرت النقولات فى ذلك عن الحكماء، والعلماء والأدباء ودعوه إلى مخالفة الهوى: فيقول البوصيرى:

وخالف النفس والشيطان واعصهما = وإن هما محضاك النصح فاتَّهم
وقال عمرو بن العاص:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه = ولم يعص قلباً غاوياً حيث بما
قضى وطراً منه يسيراً، وأصبحت = إذا ذكرت أمثاله تملأ الغما
وقال الزبير بن عبد المطلب:

واجتنب المقارع حيث كانت = واترك ما هويت لما خشيت
وقال حكيم من حكماء الفرس:

إذا اشتبه عليك أمران، فلم تدر أيهما الصواب فانظر أقربهما إلى نفسك وهواك
فاجتنبه.

وكان يقال: "أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك"^(٢).

الحالة الثالثة: فإن انتهى العبد من عمله وقد وافق هواه

عليه أن يندم على ما قدم ويعود على نفسه باللون، ويقطع عن هذا العمل ويعزم عزمًا
أكيد ألا يعود إليه أبداً ويتوب إلى الله توبة صادقة فيكون ذلك أرجى لمغفرة ذنبه.

قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٣).

"الرياء"

(١) انظر الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبى ص ٣٨ طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة.
(٢) راجع هذه النقولات كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (٣٧/١) طبعة المؤسسة المصرية للتأليف
والنشر.

(٣) سورة الزمر (٥٣).

الرياء لغه^(١) : مصدر راءى، ومصدره يأتى على بناء مفاعله وفعال، وهو مهموز العين لأنه من الرؤية، ويجوز بقلبها ياء.
والرياء: هو أن يرى غيره خلاف ما هو عليه.
وراعيته مراعاة ورياء: أريته على خلاف ما أت عليه.
وهو قريب من المعنى اللغوى وتعريفاته تدور حول شىء واحد وهو^(٢) أن يقوم العبد بالعبادة التى يتقرب بها لله لا يريد الله عز وجل بل يريد عرضاً دنيوياً^(٣) .
وهو كما يعرفه بعض العلماء - نذكر منهم -:

تعريف الإمام الغزالي: الرياء التشبه بذوى الأعمال الفاضلة طلباً للسمعة والمفاخرة"^(٤)

وقال الصانعانى: أن يفعل الطاعة، ويترك المعصية مع ملاحظة غير الله أو يخبر بها أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوى من مال أو نحوه"^(٥) .
قال الإمام القرطبي: حقيقة الرياء طلب ما فى الدنيا بالعبادة، واصله طلب المنزلة فى قلوب الناس"^(٦) .
سبب الرياء

فكل فعلى، لابد له من باعث وداع إليه فما هى البواعث على الرياء؟
فالبواعث على الرياء مغروسة فى النفس ومحبة إليها وهى كما حضرها الإمام المحاسبى ثلاثة أمور:

"حب المحمودة، وخوف المذمة، والضعفة فى الدنيا، الطمع لما فى أيدي الناس"^(٧)
ثم يستطرد فى كلامه عن الإنسان وما يجده فى نفسه فيقول :
أنه يحب أن يعلم العباد بطاعته لربه، فيوصل، ويعطى، ويكرم، ويحبُّ أن يحمد يثنى عليه، ويعظم، ويكره أن يذم فيفعل الطاعة لئلا يذم بقلة الرعية فيها"^(٨) .

(١) انظر بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادى (١١٦/٣).

(٢) انظر مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ص ٤٣٦،

(٣) ميزان العمل للإمام الغزالي ص ٢٨٥،

(٤) سبل السلام للإمام الصنعانى ١٨٤/٤.

(٥) تفسير الإمام القرطبي ٢٠/٢١٢،

(٦) الرعاية للإمام المحاسبى ص ١٣٩،

(٧) الرعاية للإمام المحاسبى ص ١٣٩،

ثم يبين ذلك ويوضحه في شرحه لحديث أبي موسى الأشعري فيقول: فالأعرابي السائل للرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول يا رسول الله، الرجل يقاتل حمية" أى أنه يحمي فيأنف أن يقهر أو يذم بأنه غلب أو غلب قومه فيقاتل لذلك" قال: الرجل يقاتل ليرى مكانه"، وهذا طلب الحمد بالقلب ومعرفة القدر.

قال: ورجل يقاتل للذكر وهذا طلب الحمد لألسن

وقد جمع الإمام المحاسبى هذه الأمور كلها وأرجعها إلى أمر واحد وهو حب المحمدة، وخوف المذمة.

فقال: "ويجمع ذلك كله حب المحمدة، وخوف المذمة لأن العبد يعلم أنه لا ينال ما عند الناس بطاعة ربه إلا أن يحمده عليها فتبذل له أموالهم، وأنه ما جزع من الذم لجده للمحمدة كراهية أن يزول عنه حمدهم، فتتوَل هذه الثلاثة إلى حبِّ المحمدة..."^(١)

قال بعض العلماء منهم الصغانى ينظر إلى القصد هل تمحض للرياء أم صاحبه قصد الثواب، وفي الحالة الثانية هل كانت إرادة الثواب أرجح أو أضعف أو مساوية؟^(٢)

فالصورة الأولى فهي باطلة بلا خلاف وهي الصورة التي لا يقصد فيها العابد الثواب ويقول ابن رجب عن هذه الصورة "العمل على هذا النحو لا يشك مسلم أنه ضابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة"^(٣). فهي كذلك محرمة ويستحق عليها العقاب.

إما الصور الثلاثة الأخرى فيكون قصد الرياء مصحوباً بقصد الثواب.

فإن كان الباعث الدينى مساوياً الباعث النفس تقاوماً وتساقط وصار العمل لا له، لا عليه، وأن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع، وهو مع ذلك مضر ومقضى للعقاب نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجر للرياء، ولم يمتزج به شائبة التقرب. وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الدينى.

وقال بعض العلماء: العمل المراءى فيه محبط لأفساده للعمل كله وإن كان قليلاً واستدلوا بقوله - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث القدسي "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى مركته وشركه".

(١) الرعاية للإمام المحاسبى ص ١٣٩،

(٢) سبل السلام (١٨٥/٤)،

(٣) الدين الخالص (٣٨٢/٢).

فإنه تعالى لم يرضى بما أشرك معه فيه غيره ولو كان قليلاً إما اعتبار الغزالي باشتراط التجرد لرياء لأحباط العمل فهذا تخصيص لا دليل عليه. ممن قال بهذا الإمام المحاسبى قال: إرادة العباد بطاعة الله عز وجل، وإرادة ثواب الله عز وجل يجتمعان في القلب، والإرادتان: إرادة المخلوقين، وإرادة الثواب، وهو أدنى الرياء، وهو الشرك بالإرادة في العمل، لأنه إراد الله والناس فأشرك في عمله بطلب حمد الله عز وجل - وطلب حمد المخلوقين^(١) . ثم سرد الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة:

وقال ابن القيم:

وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العدل واجباً فإنه ينزل منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر، فإن الله أمر بعبادته خالصة قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً) فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به...".^(٢)

والرأى الأخير هو الأصوب لقوة أدلته ووجاهة حجته والله أعلم

الترهيب من الرياء:

١- فالرياء مبطل للعمل، ومحبط له كما قال تعالى: (بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْتَغُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . فالمتصدق الذي يمن بصدقته على المتصدق عليه أو يؤذيه عمله باطل، مثله مثل الذي ينفق ماله رياء.

٢- قال سائل يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله^(٣) .

٣- وعن أسامه بن زيد - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه فيدور

(١) رواه مسلم،

(٢) الرعاية ص ١٣٦،

(٣) الداء، والدواء ص ١٩١،

(٤) سورة البقرة (٢٦٤)،

(٥) رواه الجماعة انظر نيل الأوطار (٢٢٦/٧)،

بها كما يدور الحمار في الراحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان بالله؟ الم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى، كنت أمر بالمعروف، ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية" (١).

٤- روى أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جرى، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل تعلم العلم وحلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقى في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت، ولكن فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقى في النار" (٢).

فهؤلاء الثلاثة جاهدوا وأنفسهم في الطاعات ولكن لم تغنى عنهم من الله شيئاً لأنهم لم يبغوا بها وجه الله بل **فمارت** عذاباً لأنهم قصدوا بها العباد لا رب العباد وفي هذا دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته" (٣).

علاج الرياء

وعلاج الرياء لا يختلف عن علاج الهوى كثيراً، فمن طرق العلاج: -

الفرار إلى الله والإحتماء به:

فلا سبيل لنجاة من هذا المرض ولا سبيل للخلاص منه إلا باللجوء إلى الله والإنابة إليه والإستعانة بقوته، والإحتماء بسلطانه فقال تعالى **(فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ)** (٤).

وأن نكون صادقين في طلب العون من الله في جميع أعمالنا حينما نردد في كل صلاة قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** (٥).

(١) متفق عليه،

(٢) رواه مسلم (انظر شرح النووى على صحيح مسلم (٥٠/١٣)،

(٣) انظر شرح النووى على مسلم (٥١/١٣)،

(٤) سورة الذاريات (٥٠).

ومعرفة قدر المعبود تُعين العبد على استقامة نفسه لذلك أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمراقبة الله في جميع حركاتنا وسكناتنا فقال - صلى الله عليه وسلم - "اعبدا الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك" .^(١)

فالأولى عبادة الأحرار أن يصل إلى مراقبة الله بمحض اختياره ومحبه الله فإن لم يكن كذلك فليعلم أن الله مطلع على كل أحواله وليحذر سوء المنقلب وحاصل الأمرين هو إحلال الله الخوف والرجاء لرحمته فيكون همّ الإنسان كله موجه إلى عمله هل مقبول عند الله أم مردود وهذه أعلى مراتب الإحسان كما وجهنا إليها أعلم الخلق بالله. محاولة إسرار الطاعات وإخفائها:

ففي إسرار العبادات وإخفائها فضل كبير كما أخبرنا الله تعالى فقال: "إن تبدوا الصدقات فنعمنا هي، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم" .^(٢)

وقد كان الإسرار هو منهج العلماء الصالحين، والعابدين المحسنين لم في إظهار الطاعة من إظهار من إظهار لشرف المطيع ومحمدته بين الناس ولا يستطيع أن يدفع وسواس الشيطان في هذا إلا من رحم الله.

هل الإسرار هو الأفضل في جميع الأحوال:

إن عملية المقارنة بين أفضلية الإسرار والإعلان في الطاعات لا تكون مطلقة ولكن لأبد لها أن تقيد بأحوال.^(٣)

والطاعات ثلاثة أنواع :

الأول: ما شرع مجهوراً كالأذان، والإقامة، والتكبير، والجهر بالقراءة في الصلاة، والخطب الشرعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فهذا لا يمكن إخفاؤه فإن خاف فاعله الرياء جاهد نفسه في دفعة إلى أن تحضره نية الإخلاص فيأتي به مخلصاً كما شرع الله فيحصل على أجر ذلك الفعل، وعلى أجر المجاهدة.

الثاني: ما يكون إسراره خيراً من إعلانه كإسرار القراءة في الصلاة، وإسرار أذكارها، فهذا إسراره خير من اعلانه.

(١) الفاتحة (٥).

(٢) رواه مسلم انظر جامع العلوم والحكم ص ٢١.

(٣) سورة البقرة ٢٧١.

(٤) انظر كتاب قواعد الأحكام للمعز بن عبد السلام (١٥٢/١) وانظر مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر (ص ٤٧٠).

الثالث: ما يخفى تارة ويظهر أخرى كالصدقات، فإن خاف على نفسه الرياء أو عرف ذلك من عادته كان الإخفاء أفضل من الإبداء لقوله تعالى: (وَإِنْ تَخَفُوا مَا كُفِّرُوا وَنُوْتُواهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (١).

ومن أمن الرياء فله حالات:

الأول: ألا يكون ممن يقتدى به، فإخفاء أفضل إذ لا يأمن الرياء عند الاظهار.
الثاني: أن يكون ممن يقتدى به، فالإبداء أولى لما فيه من سد خلة الفقراء مع مصلحة الاقتداء، فيكون قد نفع الفقراء بصدقته، وبتسببه إلى تصدق الأغنياء عليهم، وقد نفع الأغنياء بتسببه إلى اقتنائهم به في نفع الفقراء.
علامات المخلص:

الإخلاص عزيز بل هو أعز شيء في الوجود إلا أنه يسير على من يسره الله عليه فقد عانى منه الحكماء وكابد للوصول إليه العلماء حتى أتاهم اليقين (الموت) فالوصول إلى الإخلاص هو وصول الاعتدال النفس ولا تعتدل النفس إلا بالنظر إلى نعم الله وآياته الواضحات ودلائل وجوده البينات وأن تتفكر النفس في حقيقة وجودها وخلقتها، ونهاية بقائها، من أى شيء خلقت؟ ولماذا خلقت؟ وإلى أين مصيرها؟ فإذا وصلت إلى حقيقة هذه الأسئلة التي تدور في خلدنا وعرفت:
- أنها خلقت من أصل الترابي ثم من نطفة قذرة فأنى لها أن تتباها وتتظاهر وتعجب بأعمالها!

- وإن علمت أنها ما خلقت من أجل أن تستمتع بالشهوات واللهوات ولا لأن ترضى الناس بما يغضب الله ولكن خلقت من أجل غاية عظمة، وحكمة كبرى، هي عبادة الله، فأنى لها أن توجه قصدها لغير الله!

- ثم إذا أقرت على حقيقة الموت والبعث والحساب والنشور والوقوف بين يدي العزيز الغفور، ثم المصير إما إلى جنة، وأما إلى نار فأنى لها أن تتوانى عن توجيه قصدها وعزمها إلى الله.

يقول الإمام الشافعي:

"وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلى منه حرف" (٢).

ويقول الإمام الغزالي:

(١) ،؟؟

(٢) المجموع للنووي ٤٦/١،

وإنما تعرف حقيقة ذلك (الإخلاص) بأمر وهو أن الواعظ المقبول إن كان يعظ الله لا لطلب القبول، وقصده دعوه الخلق إلى الله، فعلا منه أنه لو جلس على مكانه واعظ أحسن منه سيرة، وأغزر منه علماً، وأطيب منه لهجة، وتضاعف قبول الناس له بالنسبة إلى قبوله، فرح به، وشكر الله على إسقاط هذا الفرض عنه بغيره، وبمن هو أقوم به منه" (١) .

ومن علامات المخلص أن لا يعبأ بكلام الناس مدحاً أو ذماً ولا يحزن لحاله فقراً كان أو غنى بل هو في جميع أحواله راض عن الله لا يغضب إلا بما يغضب الله. والمخلص لا يبالي لو خرج له كل قدر في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله، ولا يحب أن يطلع أحد من الناس على طاعته لله. وينسب إلى عيسى ابن مريم أنه قال: "يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاء، علمكم داء مثلكم مثل شجرة الدافلى، تعجب من رآها، وتقتل من أكلها" (٢) .

(قائمة المراجع) مرتبة على حروف المعجم

- إحياء علوم الدين
للغزالي - مكتبة، مطبعة المشهد الحسيني - القاهرة
الأحكام في أصول الأحكام
للأمدي - طبعة دار الكتب ١٩١٤م
أحكام القرآن
لابن عربي - عيسى البابي الحلبي ط الثانية ١٩٦٧
الأشباه والنظائر
لابن نجيم - نشر مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م
الأشباه والنظائر
للسيوطي - مصطفى البابي - القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م
أصول السرخسي
لمحمد السرخسي - لجنة إحياء المعارف النعمانية حيدر آباد الركن - تصوير بيروت - دار المعرفة
أضواء البيان
للسنقيطي - مطبعة المدني ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م
أعلام الموقعين
لابن القيم - دار الكتب الحديثة - القاهرة

(١) ميزان العمل ٢٤٢،

(٢) إقتضاء العلم العمل (١٩٤)،

- اقتضاء العلم والعمل
للخطيب البغدادي - وضمن مجموع طبع بعنوان من كنوز السنة - رسائل أربع - المطبعة العمرنية
- دمشق - الأولى
الأم
للإمام الشافعي - كتاب الشعب ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
البحر المحيط
لأبي حيان - مكتبة النصر الحديثة - الرياض
بدائع الفوائد
لابن القيم - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة
بداية المجتهد ونهاية المقتصد
لابن رشد - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
البداية والنهاية
لابن كثير - مكتبة الفلاح - الرياض
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز
للفيروزآبادي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - ١٣٨٣هـ
تحسين الطوية في تحسين النية
مخطوط في دار الكتب المصرية
التعريفات
للجرجاني - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م
تفسير ابن كثير
دار الأندلس - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
تفسير الطبري
شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م
تفسير القرطبي
دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
تلييس ألبليس
لابن الجوزي - دار الوعى - بيروت
جامع العلوم والحكم
لابن رجب - دار المعرفة - بيروت
الخطاب على الخليل (مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للخطاب)
مكتبة النجاح - ليبيا
الداء، والدواء
لابن القيم - مطبعة مدنى
دليل الفالحين شرح رياض الصالحين
لمحمد على الصديقي - مطبعة مجازى - القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م
الدين الخالص
لصديق حسن خان - مكتبة دار العروبة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م
الذخيرة
للقرافي - مطبعة كلية الشريعة القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

- الرسالة القشيرية
 لأبي القاسم القشيري - مكتبة على صبيح - القاهرة
 الرعاية لحقوق الله
 للحارث المحاسبى - دار الكتب الحديثة - القاهرة
 ذات الميعاد
 لابن القيم - المطبعة المصرية
 سبل السلام
 للصغاني - مكتبة التجارية الكبرى - مصر
 سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني
 المكتب الإسلامى - دمشق الطبعة الأولى
 سنن ابن ماجه
 دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م
 سنن أبي داود
 المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م
 سنن الترمذى
 مكتبة الحلبي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م
 السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار
 للشوكاني - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
 شذرات الذهب
 لابن العماد الحنبلي - المكتب التجارى - بيروت
 شرح النووى على صحيح مسلم
 مطبعة المصرية
 عيون الأخبار
 لابن قتيبة - المؤسسة المصرية
 فتح البارى شرح صحيح البخارى
 لابن حجر - المطبعة السلفية
 فتح القدير
 لابن الهمام - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة
 الفروق
 للقرافى - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى
 فى ظلال القرآن
 لسيد قطب - دار الشروق - بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
 قواعد الأحكام
 للعز بن عبد السلام - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
 كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوى
 لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخارى - دار الكتب العربى - بيروت - طبعة بالأوفست
 ١٩٧٤م
 كنز العمال فى سنن الأفعال والأقوال
 لعلاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى - مطبعة دائرة المعارف - حيدرآباد ١٣٦٤هـ

- لسان الميزان
لابن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمی - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧١م
المجموع
للإمام النووي - الناشر زكريا على يوسف
مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية
طبع في السعودية - الطبعة الأولى ١٣٨١هـ
المحلى
لابن حزم - المكتب التجاري - بيروت
مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين
للدكتور عمر الأشقر - رسالة دكتوراة قدمت في جامعة الأزهر - الطبعة الثانية ١٤١١هـ -
١٩٩١م - مكتبة دار النفائس - عمان، مكتبة الفلاح - بيروت
مدارج السالكين
لابن القيم - مطبعة السنة المحمدية
مشكاة المصابيح
للتبريزي - المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الأولى - ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م
منتهى الآمال شرح حديث (إنما الأعمال)
للسيوطي - مخطوط بدار الكتب المصرية
الموافقات
للشاطبي - مطبعة صبيح - القاهرة
ميزان العمل
للغزالي - دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٦٤م
لسان العرب
لابن منظور - دار لسان العرب - بيروت
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار
للسوكاني - الطبعة الثانية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م - مطبعة الحلبي
وفيات الأعيان
لابن خلكان - طبعة دار صادر - بيروت